

## الفضة.. شغف بالتاريخ والجمال

مجدولين أبو الرب\*

لا يقتصر الشغف بالفضة، والرغبة باقتنائها، على جماليات ذلك المعدن الأبيض اللامع الثمين، لكن هذا الشغف يأتي أيضًا من ارتباطها بالتراث والتاريخ، فمشغولات الفضة تشي بالكثير، فهي تخبر بطريقة معيشة الجدات والأجداد، ومعتقداتهم الشعبية، وعاداتهم، وتعبّر عن الموقع الاجتماعي للشخص، والمنطقة التي ينتمي إليها، وحتى إن كانت المرأة عزباء أم متزوجة، الأمر الذي جعل منها رمزًا للتراث والتاريخ الذي تحمله في طبيعتها.

عرفت العرب قديمًا هذا المعدن، واستعمل في سك النقود، وصناعة الحلّي والأواني، وارتبط بمعتقدات شعبية لها علاقة بجلب الخير ودفع الشر، والعلاج والوقاية من الأمراض. والحفر في هذا الموضوع تاريخيًا وثقافيًا يفتح بوابات ذاكرتنا الجمعية، لنعيش زمانًا غير هذا الزمان.



## سك النقود

الفضة معدن يقاوم التآكسد والتلف لفترة طويلة، استعملت كعملة قبل أن يبدأ الإنسان بسك النقود، وكانت الفضة هي المعدن المستخدم في صناعة النقود في عهد الامبراطورية الإغريقية، كما استعملها البابليون نقوداً منذ العصور الأولى للتاريخ. أما اعتماد الفضة أساساً نقدياً في وحدات ذات وزن وعيار محددتين، فكان منذ القرن الثامن قبل الميلاد، حيث كان يتم تداول القطع النقدية المصنوعة من الفضة ومن الذهب في جميع البلدان من القارة الهندية وحتى وادي النيل، وفي بلدان أوروبا وآسيا وأميركا.

الفضة في العلاج  
والوقاية من الأمراض

للفضة قدرة عجيبة على قتل البكتيريا، والميكروبات، والطحالب، دون الضرر بالإنسان. يكفي أن يضع المرء بضع قطع من الفضة في الماء لتعقيمه! هذا ما عرفته العرب

قديمًا، فكان المسافر يضع في قِرب الماء، المصنوعة من جلد الشاة قطعاً معدنية من عملات الفضة، ويملاً ثلاثة أرباعها ماءً تاركًا حيزًا للهواء، وأثناء الرحلة تهتز القربة، فتحتك القطع بعضها ببعض، مما يؤدي إلى قتل البكتيريا وتطهير الماء. كما يُعتقد أنّ للفضة تأثيراً على الحالة النفسية للإنسان، وأنّها تسهم في الوقاية من الأمراض الخطيرة، وأنّ الحليّ الفضية لها خصائص علاجية كثيرة، فهي تصلح لعلاج مرض الروماتيزم والأعصاب، وأكثر من ذلك، ثمة معتقدات شعبية ارتبطت بالفضة.

## الفضة في المعتقدات الشعبية

المعتقدات الشعبية تصوّرات ومواقف وبقايا أساطير، أنتجتها المخيّلة الشعبية، إزاء خوف الإنسان من الشرّ والمكروه، أو طمعه في الخير والرزق، وصارت من المسلّمات، ورَسَخَتْ في العقل الجمعيّ مع مرور الزمن، وشكّلت جانباً مهماً من الوجدان الشعبيّ، ويظهر تأثيرها في تعاملات أفراد المجتمع وأحاديثهم وحياتهم اليومية، وهي أحد مفاتيح فهمنا للثقافة الحالية لمجتمع ما.



أما عن الفضة في المعتقدات الشعبية، فمنها أنّها تجلب حسن الطالع، وتؤثر إيجاباً في نفسية المرء، وتحمي من الشرّ، وتجعل صاحبها معظماً في النفوس، وطلبه دائماً مُجاب، محبوباً ومُصدّقاً من الآخرين، وتجلب له حسن الطالع.

ويعتقد بعضهم أنّ للفضة تأثيراً على الحالة النفسية للإنسان، وأنّ لها تأثيراً مفرحاً يُذهب الهمّ والغمّ والحزن، وضعف القلب

وخفقانه، وأنّ ارتداء خاتم أو أسورة من الفضة كفيل بعلاج الأمراض، والحماية من الكوابيس.

ومن المعتقدات التي يحفل بها الموروث الشعبي استعمال قطع من الفضة كتمايم تحمي من الشرّ، وتطرد الجنّ، وثمة من يعلّق «خميسة» (مجسم لكفّ اليد عليها خرزة زرقاء) من الفضة لطرد الحسد والعين، وجلب الرزق.

كما يُسقى الشخص المرعوب (خاصة الأطفال) من طاسة الرعبة، وهي وعاء من الفضة منقوش عليه آية الكرسيّ، تستخدم لمن أصابه الخوف الشديد، فتملأ بالماء، ويُسقى منها الشخص المرعوب، فيذهب عنه الخوف.



ورشرش، وعصبات، وبروش، وخلخال)، واقتنين المكحلة والمرش والمبخرة، وزين أجدادنا بالفضة أعنة الخيل، والسيوف والخناجر.

تتشابه الحلي ومشغولات الفضة في تراث المنطقة العربية بعامّة، وإن كان ثمة اختلاف، فهو في التفاصيل، وبالاسم الذي يطلق على قطعة الحلي، ومن حلي الفضة التي زينت المرأة الأردنية:

### القلائد

تعددت أنواع وأشكال القلائد، فمنها قلادة الحجاب (الحروز)، وتتكوّن من التعليقة التي تشبه علبة صغيرة من الفضة على شكل مثلث أو مستطيل، تتصل به كرات صغيرة، وتُعلّق بسلسلة وتلبس حول رقبة المرأة، وبها ورقة مكتوبة بالأدعية المختارة من أجل دوام حب الزوج، والقدرة على الإنجاب، والحماية من الحسد، وهذه القلادة تكون ضمن مهر العروس، أو تُهدى إليها من الأهل.

ثمة أنواع أخرى من قلائد الفضة مثل الكردان، وقلادة الهلال التي تكون على شكل هلال كبير من الفضة تحتوي بداخلها تعاويذ. والسمكة الماسكة، وهي قلادة كبيرة تضم العديد من قطع فضية دائرية الشكل. يضاف الخرز في القلائد على قطع الفضة،



### حلي الفضة

عُرفت الحلي منذ العصور القديمة، واستخدمت للزينة أو لطقوس ارتبطت بالطب والتنجيم. يميّز معدن الفضة بلمعان أبيض أخاذ، وطراوة وليونة شديدة، مما أعطى الصانع حرية كبيرة في صنع تصاميم ونماذج لا حصر لها، ودفعه لإبداع أكبر، بما تحمله الفضة من أصالة ورقّي. اتخذت مصوغات الفضة والأحجار الكريمة حلياً للزينة واحتلت مكانة عالية عند المرأة في مجتمعاتنا العربية، حيث تنظر المرأة إليها بوصفها تمثل جزءاً مهماً من هوية المجتمع وثقافته، وأحد الروافد التراثية المستوحاة من البيئة العربية. أما الأدوات والأواني المصنوعة من الفضة، فتضفي الجمال والرونق على أركان المنزل. وحافظ الصانع على خصوصيات ومميزات هذا التراث، مما أعطى لمشغولات الفضة طابعاً يتجاوز ماديتها، حيث تصبح بمثابة أعمال فنية وإبداعية.

اعتمدت العرب على الحرفيين لتزيين نسائهم، فارتدت جداتنا من الفضة (أقراطاً، وقلائد، وزنانير/أحزمة، وخواتم، وأساور ومعاضد وحجول، ولبات بأنواعها،



الرأس حتى أسفل الظهر وتنتهي بقطعة تسمى الماسكة.

### الأساور

تلبس في معصم اليد، ومنها «المباريم» و«سوار الليرات الإنكليزية» و«سوار السناسل»، وسوار «زردة»، ومنها المحبر، أو المطويح السادة الخالية من النقوش.

### التراكي أو الحلق

وهي أقراط توضع في الأذن وتتنوع في أشكالها، تصنع من الفضة وقد ترصع بأحجار كريمة.

### أدوات وأواني

استعملت الفضة في صناعة الأواني وأباريق القهوة وأواني الزهور

وحمالات الشموع والمكاحل (لحفظ كحل العيون)، والمرش؛ ويستعمل لرش ماء الزهر وماء الورد، والمبخرة للبخور والعود بخاصة. وكثيراً ما تضمّن جهاز العروس أواني من الفضة.

كما استعملت الفضة كذلك لتزيين الأسلحة كالخنجر (الشباري) والسيوف والبنادق القديمة، حيث تزيّن الأعماد والمقابض بنقشات وأشكال جمالية بديعة وخرز الفيروز والعقيق.

كما استخدمت في صناعة المرايا حيث يطلى وجه واحد من الزجاج بالفضة

وذلك بترسيبها على الزجاج، كما زُيّنت الصناديق الخشبية المرصعة بالعقيق المزينة بقطع فضية تحتوي على أشكال جمالية وهندسية صنعت باليد. كما دخلت الفضة في صناعة الفوانيس والأباريق الخاصة بالقهوة.

كلّ ما تقدّم أعطى للفضة خصوصية ثقافية وتاريخية وفنية مميزة في تراثنا العربي، وبلغ اعتزاز العرب بهذا المعدن أن أطلقوا اسم «فضة» على بناتهم، ولا عجب في ذلك حين تكون الفضة عندهم رمزاً للاستدلال على صفاء الشخص، ونقاء سيرته، وجماله، وبعده عن الغدر والرياء.

وكانت دلالة الخرز الأزرق الرُّقيا من الحسد، أما الخرز الأحمر، فكان دلالة على أن لابسته ما زالت في مقتبل الصبا وغير متزوجة.

### الخلخال (حجول الفضة)

للفضة رنين صوتي جميل ومتميّز عند إسقاطها، أو ارتطامها، يشبه رنين الجرس، لذلك صنع الخلخال من الفضة الخالصة، وهو دائري الشكل مفتوح من جانب واحد، تتدلى منه قطع فضية صغيرة، ويوضع أسفل الساق فوق الكعب، ويصدر صوت رنين الفضة عندما تحرّك المرأة قدمها. ومن المعزوفات الشعبية الأردنية معزوفة (الخرخشة)، التي تتضمن رنة الخلاخيل عند النساء.

### الزميمة (الوردية)

قطعة حلي تشبه القرط، تُعلّق في ثقب الأنف، وعادة تضعه المرأة البدوية على الجهة اليمنى من الأنف لتشير إلى ثراء زوجها أو قبيلتها، ولها أحجام وأشكال مختلفة.

### الرشرش أو اللبة

وهو نوع من القلائد، تضعه المرأة في عنقها، ويمتاز بأن زخارفه ونقوشه تتدلى من العنق لتغطي الصدر.

### الأعلاج

تصنع من الفضة وتوضع على جانبي الرأس (الصدغين) حيث تثبت بغطاء الرأس على جانبي الغطاء، وتلبس بدلاً عن الأقراط أو معها. كما تهتم المرأة البدوية بتنسيق شعرها على هيئة ضفائر وتغطي رأسها بشريط يتدلى على جانبي الرأس مُزيّناً بالعملات الفضية أو المعدنية.

### العرجة

الماسكة أو العرجة هي قطعة مسكوك عليها خرز وقطع من النقود الفضية، وفيها سلسال من الفضة، وتتدلى من خلف

